ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

أثر العقيدة في قضايا النقد الأدبي

الدكتور عبد الله علمي
القاضي عياض -مراكش / المغرب

ملخص باللغة العربية :

حاول هذا المقال دراسة الأثر العقدي في قضايا النقد الأدبي العربي، وذلك من خلال أهم مواضيع النقد؛ التي شغلت أذهان النقاد العرب.

بدأت الدراسة بقضية كلام الله، التي انقسم فيها النقاد بانقسام مذاهبهم الفكرية، منهم من قال إن القرآن كلام الله، و منهم من قال بالكلام النفسي، و يرجع هذا إلى الأسئلة الفلسفية ؛التي فرقت وأرقت الأمة الإسلامية قديما : هل القرآن مخلوق ؟ هل القرآن صفة من صفات الخالق؟

ثم درس المقال قضية إعجاز القرآن، و التي شغلت بال النقاد قديما، إذ يرجع الجدال حولها بالقول بمبدأ الصرفة؛ الذي تشبت به المعتزلة، و هاجمه الأشاعرة وأهل السنة والجماعة.

وانتقل المقال بعد ذلك إلى دراسة أهم قضيتين نقديتين هما : قضية اللفظ والمعنى، وقضيا الخيال و القول بالتشبيه و المجاز ، والتي احتدم فيهما الصراع لأسباب عقدية بحتة.

د.عبد

الله علمي

Résumé :

Cet article étudie l’effet de la vision religieuse islamique dans les sujets de crique littéraire arabe.

Au début ,on commence par le sujet de coran :est-ce le coran la parole de dieux ? ou il est sense, et le profète transfèremet ce sense par la langage arabe ? des questions qui reflet a des avis philosophique.

L’article aussi discute la question de la secret du coran et-ce sa langue ou la façon d’utiliser la langue ?

A la fin L’article, en discute deux importons questions dans le critique arabe :l’imagination, et le mot devant le sens.

Dr.abedellah Alami

تقديم:

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

ظهر النقد العربي وتطور مع الفرق الكلامية، وترعرع في بيئة المتكلمين من أهل الجدل العقدي والحجاج الفكري،بسبب بعض القضايا العقدية التي كثر حولها الجدال بين **المعتزلة**[1]**،والأشاعرة**[2]،منها **قضية كلام الله وخلق القرآن،وقضية الإعجاز والرد على الشعوبيين بشكل غير مباشر.**

والقضيتان مترابطتان؛ لأن البحث في إعجاز القرآن كان مبنيا على البحث في قضية كلام الله وخلق القرآن.

الركيزة الأولى: قضية كلام الله

أكد المعتزلة أن الله لا تقوم به صفة من الصفات، وأن ما وصف به من الكلام إنما هو فعل من أفعاله تعالى يحدثه ويخلقه في الأجسام إذا أراد مخاطبة الخلق بالأوامر والنواهي، وإصدار وعده ووعيده وزجره وترغيبه؛ لأن الله إذا أحدث الكلام صح أن يكون متكلما، وهذا الكلام هو لفظ مكون من الحروف المنظومة والأصوات المقطعة المسموعة، وبناء على هذا القول في كلام الله تعالى قالوا بخلق القرآن[3]، وحاولوا بيان إعجازه تركيبا ونظما، وبيان أن المزية في التركيب لا اللفظ، وركزوا بحثهم في بيان أسرار القرآن الكامنة في النظم المركب من حروف وأصوات وألفاظ منظومة ومؤلفة بشكل معجز، وبهذا نشأ النقد الأدبي العربي، وبدأ الحديث عن الفصاحة وحسن البيان[4].

---

[1] المعتزلة: فرقة كلامية إسلامية،ظهرت في أوائل القرن الثاني،واعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية، وتعرف بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، ومن أهم آرائهم: نفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وتخليد مرتكب الكبيرة في النار، ونفي رؤية الله في الآخرة، وأن الإنسان يخلق فعل نفسه، ويطلق عليهم من الأسماء والأوصاف: القدرية،والوعدية، والعدلية، وأهل العدل والتوحيد وغيرها، ابن حزم،الفصل في الملل والنحل، مع هامش الملل والنحل،دار الفكر،بدون تاريخ، 43/1 - بتصرف -

[2] الأشاعرة: فرقة كلامية إسلامية، تنسب إلى أبي الحسن الأشعري في مرحلته الثانية التي خرج فيها على المعتزلة، ودعا فيها إلى التمسك بالكتاب والسنة، ومن أظهر آرائهم التي يخالفون فيها أهل السنة والجماعة: تعريف الإيمان بالتصديق والمعرفة، والقول بالكلام النفسي، وينفون الصفات الاختيارية التي تتعلق بمشيئة الله واختياره، ولا يثبتون من الصفات إلا سبعا، وهي: العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والكلام، والسمع، والبصر، وهي عندهم صفات أزلية قديمة قائمة بذات الرب سبحانه، ولا تتعلق بمشيئته، وينفون ما عداها أو يتأولونه، عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، مكتبة محمد علي وأولاده للنشر، بدون تاريخ،94/1

[3] القاضي عبد الجبار،المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق:أمين الخولي، دار الكتب المصرية، بدون تاريخ، 84/7

[4] أحمد أبو زيد، المنحى الاعتزالي في البيان، مكتبة المعارف الرباط، الطبعة الأولى، 1986م، 251/1 - بتصرف -

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

في مقابل هذا قرر الأشاعرة أن كلام الله معنى أزلي قديم بذاته سبحانه دون الحروف والألفاظ، وسموه (الكلام النفسي)، واعتبروا الحروف والألفاظ خارجة عن كلام الله، وإنما هي عبارة عن الكلام النفسي، عبر به جبريل عليه السلام أو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا فرقوا في قضية خلق القرآن بين المعنى واللفظ: فالمعنى: هو الكلام النفسي غير المخلوق، وأما اللفظ: هو المتلو المقروء فمخلوق.

ولا يطلقون القول بخلق القرآن لئلا يتوهم أن المعنى مخلوق[1]. وهذا دفع الأشاعرة إلى الاهتمام بالمعنى والقول بمزية المعنى على اللفظ عكس المعتزلة.

هكذا تظهر أصول الخلاف في قضية اللفظ والمعنى، وهي قضية نقدية دار حولها جدال بين الكلام القديم والكلام المحدث المخلوق بين المعتزلة والأشاعرة، وتشعب عن هذا الخلاف نظرية إعجاز القرآن، فكان جدلهم يدور حول إعجاز القرآن المتلو لا إعجاز القرآن القائم بالذات الإلاهية.

وبدأ المعتزلة ينظرون إلى القرآن نصا دينيا مخلوقا، فقالوا بالصرفة[2]، وظهرت معها قضية تفضيل اللفظ على المعنى، ولكن الأشاعرة رفضوا رأي الصرفة، فقال الجرجاني المزية للمعنى ويقصد المعنى القائم في النفس[3].

الركيزة الثانية: قضية إعجاز القرآن

شكلت قضية إعجاز القرآن دفعة قوية للنقد الأدبي العربي القديم، رغم أن البحث في هذه القضية بحث عقدي يتصل بمسائل العقيدة:

مثل: مسألة كلام الله تعالى، ومسألة النبوة؛ لأن القرآن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم ودليل صدق دعوته، وكان الدافع للبحث فيها ما أثاره الملاحدة والطاعنون في كتاب الله تعالى من شبهات تشكك فيه وتنكر إعجازه.

وكان المعتزلة هم المهيؤون تاريخيا للرد على الخصوم فيما يتعلق بقضية الإعجاز، فنهضوا إلى تحليل الخطاب البياني للقرآن، وغايتهم الكشف عن دلائل إعجازه، وبيان أسراره.

---

[1] سفر الحولاني، منهج الأشاعرة في الاعتقاد،مكتبة العلم،القاهرة، بدون تاريخ، ص: 41 - بتصرف -

[2] يرى النظام شيخ المعتزلة أن إعجاز القرآن من جهة صرف الله للعرب أن يأتوا بمثل القرآن مع قدرتهم على ذلك، الشهرستاني، الملل والنحل،57/1

[3] مهدي صالح السمرائي، تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،2008م، ص:77 - بتصرف -

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

القسم الأول:	ما روي عن الأشعري، وهو أن المعجز الذي تحدى الله الناس بالمجيء بمثله هو الذي لم يزل معه تعالى ولم يفارقه قط ولا نزل إلينا ولا سمعناه[1]، أي: الكلام النفسي.
القسم الثاني:	(هل الإعجاز متماد أم قد ارتفع بتمام قيام الحجة به في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم؟ قال بعض أهل الكلام: إن الحجة قامت بعجز جميع العرب عن معارضته، ولو عورض الآن لم تبطل بذلك الحجة التي صحت... وقال جمهور أهل الإسلام: إن الإعجاز باق إلى يوم القيامة)[2].
القسم الثالث:	(ما المعجز منه، أنظمه أم ما في نصه من الإخبار بالغيوب؟ فقال بعض أهل الكلام: إن نظمه ليس معجزا وإنما إعجازه ما فيه

[1] ابن حزم ،الفصل في الملل والأهواء والنحل،13/1
[2] نفسه،13/1

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

	من الإخبار بالغيوب، وقال سائر أهل الإسلام: بل كلا الأمرين معجز: نظمه وما فيه من الإخبار بالغيوب)[1].
القسم الرابع:	(ما مقدار المعجزة منه؟ قالت الأشعرية ومن وافقهم: إن المعجز هو مقدار أقل سورة منه، وهو:(إنا أعطيناك الكوثر) فصاعدا، وإن ما دون ذلك ليس معجزا، واحتجوا في ذلك بقول الله تعالى: (قل فأتو بسورة مثله) قالوا: ولم يتحد تعالى بأقل من ذلك ... وذهب سائر أهل الإسلام إلى أن القرآن قليله وكثيره معجز)[2].

وإجابة عن سؤال الإعجاز ألفت كتب في البيان ، وبدأت رحلة البحث في النقد و البلاغة، حتى أصبحت معظم الكتب المؤلفة في الإعجاز القرآني مصـــادر نقدية بلاغية مثل: النكت في إعجاز القرآن للرماني[3]، ورسالة الخطابي[4]، وإعجاز القرآن للباقلاني[5]، وغيرها من كتب النقد الأدبي التي ألفت لأجل الرد على المشككين في القرآن، والتي اتخذت البلاغة والنقد وسيلة لفهم إعجاز القرآن مثل كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني[6]، وكتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة، وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي وغيرها... من مصادر النقد والبلاغة. إذن: **العقيدة وقضايا الكلام هي الدافع والباعث القوي وراء تأليف كتب النقد الأدبي.**

ويمكنني تلخيص اختلاف علماء الكلام في قضية إعجاز القرآن وتوزيعهم إلى أربعة أقسام؛ كما ذكر ابن حزم الأندلسي في الفصل بين الملل والنحل:

فبعدما كانت العقيدة باعثا على التأليف في النقد،أصبح النقد وسيلة وأداة للدفاع عن المذهب العقدي، فالمعتزلة وهم أهل الجدل والحجاج واجهوا

---

[1] نفسه،16/1

[2] ابن حزم ،الفصل في الملل والأهواء والنحل،16/1

[3] أبو الحسن علي بن علي الرماني، من أئمة الكلام المعتزلة، مفسر، فقيه، لغوي، نحوي، ولد سنة (296هـ)، وتوفي سنة: (384هـ)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، أشرف تحقيقه وخرج أحاديثه شعيب الأرنووط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة السابعة، 1990م، 533/16

[4] أحمدالخطابي، محدث، فقيه، لغوي، نحوي، ولد سنة (319هـ) وتوفي سنة (388هـ)، خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملاين، الطبعة الخامسة عشر، 2002م، 273/2

[5]القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، من أئمة الكلام الأشاعرة، ولد سنة (338هـ) وتوفي سنة (403هـ)، الزركلي، الأعلام، 176/6

[6] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، متكلم أشعري، من أئمة البلاغة والنحو، توفي سنة (471هـ)، الزركلي، الأعلام، 48/4

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

خصومهم الأشاعرة في آيات العقيدة،وحاولوا تسليط ملكاتهم النقدية لتبكيتهم والانتصار لمذهبهم.

ورد عليهم الأشاعرة في سجال فكري أسهم في تطور الدرس النقدي والعقدي. وظهر النقاش في قضايا عديدة كقضية اللفظ والمعنى، والمجاز والحقيقة... وغيرها.

وممن تصدر للقيام بالرد على المعتزلة الإمام عبد القاهر الجرجاني الأشعري بين ثنايا كتابه دلائل الإعجاز، والذي ألفه استدراكا على من سبقه من الأئمة الذين كتبوا في النقد والبلاغة، وفي إعجاز القرآن، وحمَّله آراءه المذهبية.

فالجرجاني ما إن يقف عند فكرة أو قضية من القضايا العقدية حتى تراه يدير حولها النقاش؛ لأنه حينما كان ينظر للبلاغة شغلت ذهنه آراء مدخولة وفاسدة، وقعت في الألسنة وتداولتها، وكثر الناقلون لها[1].

الركيزة الثالثة: قضية اللفظ و المعنى

رد عبد القاهر الجرجاني على المعتزلة في قضية اللفظ والمعنى، مفندا قولهم: (إن المعاني لا تتزايد، وإنما تتزايد الألفاظ)[2]، يقول: (فأطلقوا كما ترى كلاما يوهم كل من يسمعه أن المزية في حاق اللفظ، قيل له: لما كانت المعاني إنما تتبين بالألفاظ، وكان لا سبيل للمرتب لها، والجامع شملها، إلى أن يعلمك ما صنع في ترتيبها بفكره إلا بترتيب الألفاظ في نطقه، تجوزوا فكنوا عن ترتيب المعاني بترتيب الألفاظ، ثم بالألفاظ بحذف الترتيب، ثم أتبعوا ذلك من الوصف والنعت ما أبان الغرض، وكشف عن المراد كقولهم: (لفظ متمكن) يريدون أنه بموافقة معناه لمعنى مايليه كالشيء الحاصل في مكان يطمئن فيه، (ولفظ قلق ناب)، يريدون أنه من أجل أن معناه غير موافق لما يليه، كالحاصل في مكان لا يصلح له، فهو لا يستطيع الطمأنينة فيه، إلى سائر ما يجيء في صفة اللفظ، مما يعلم أنه مستعار له من معناه، وأنهم نحلوه إياه بسبب مضمونه ومؤداه)[3]، هكذا دأب الجرجاني في مواطن متفرقة على عرض آراء المعتزلة في قضايا اللفظ والمعنى، والفصاحة، ورد عليها بشكل مفصل نستشف منه التعالق بين قضايا النقد والكلام.

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي،بدون تاريخ، مقدمة محمود شاكر، ص:أ- ب

[2] نفسه، ص:63-64

[3] الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي،بدون تاريخ، مقدمة محمود شاكر، ص:أ- ب ص:63-64

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

الركيزة الرابعة : قضايا الحقيقة و الخيال

أ- قضية التشبيه :

تعد آيات الأسماء والصفات السبب الرئيس في احتدام الجدل بين النقاد والبلاغيين في قضية التشبيه، فالله تعالى أشار في القرآن أن له يدا وعينا وحياة، هنا طرح السؤال الفلسفي النقدي العقدي: هل الخالق يشبه المخلوقات؟ فكان الجواب قوله تعالى : (ليس كمثله شيء)[1]، وأعيد طرح السؤال: هل الأوصاف التي وصف بها نفسه لا تشبه شيئا مما نعرف؟ وهذا هو الأساس في نشوء مذهبين فكريين عقديين: مذهب أهل التشبيه، ومذهب أهل التأويل .

- **مذهب أهل التشبيه :**

أحدهما: المجسمة مثل هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي، فقد ذكر أبو هذيل العلاف[2]، أنه لقي هشام بن الحكم في مكة عند جبل أبي قبيس فسأله: أيهما أكبر معبوده أم هذا الجبل؟ قال: فأشار إلى أن الجبل يوفي عليه تعالى.. وذكر ابن الراوندي عن هشام أيضا أنه قال: بين الله وبين الأجسام المحسوسة تشابه من بعض الوجوه ولولا ذلك ما دلت عليه[3].

والثاني: جمهور أهل السنة، وهم يثبتون الصفات كما أثبتها لنفسه تعالى ولكنهم يقولون: إنها ليست كالأوصاف التي نعرفها. ويرفض أهل السنة أن يجعلوا أنفسهم من المجسمة؛ لأن التشبيه كما يقول الإمام أحمد ابن حنبل: (أن تقول: يد كيد أووجه كوجه)[4]، أما أهل السنة فيثبتون يدا ليست كالأيدي، ووجها ليس كالوجوه، ومعنى هذا أنهم يثبتون ذاتا (ليست كالذوات وحياة ليست كغيرها من الحياة وسمعا ليس كالأسماع والأبصار)[5].

- **مذهب أهل التأويل:**

وهم المعتزلة، الذين يرون أن الصفات التي وصف الله بها سبحانه متأولة بمعان هي عين ذاته، فاليد بمعنى القدرة، والعين بمعنى العناية، وقد أكد ابن جني المعتزلي أن الأخذ بظاهر النصوص موقع في التشبيه والتجسيم، وأن معتقد ذلك ضال منحرف، يقول: (ونعوذ بالله من ضعفة النظر، وفساد

---

[1] الشورى، الآية:11

[2] ولد العلاف سنة :131هـ، وتوفي سنة :235هـ.

[3] الإسفراييني، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشره محمد علي صبيح وأولاده، بدون تاريخ، ص:65-66

[4] ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له علي الرخيل الله، دار العاصمة، الطبعة الثالثة، 1998م، ص: 19

[5] ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ص:19

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

المعتبر، ولم يشكوا أن هذه أعضاء له، وإذا كانت أعضاء كان هو لا محالة جسما معضيا، على ما يشاهدون من خلقه، عز وجهه، وعلا قدره، وانحطت سوامي الأقدار والأفكار دونه، ولو كان لهم أنس بهذه اللغة الشريفة، أو تصرف فيها، أو مزاولة لها، لحمتهم السعادة بها، ما أصارتهم الشقوة إليه بالبعد عنها) [1].

والظاهر أن مذهب أهل السنة المنكر للتجسيم والتشبيه هو الوسطي في قضية الاعتقاد في أسماء الله وصفاته، لهذا تلقفه جمهور الأمة حتى في الوقت الذي ناصرت فيه الدولة الرسمية مذهب الاعتزال، ويتضح هذا من رسالة الجاحظ المعتزلي (نفي التشبيه)، والتي بعث بها إلى ابن الوليد محمد بن أبي دؤاد قاضي بغداد زمن المتوكل، قال الجاحظ: (وكان لأهل التشبيه القوة الظاهرة والسلطان المكين،مع تقليد العوام لهم)[2].

ب- قضية المجاز :

يعد المجاز من أهم المواضيع النقدية المرتبطة بقضايا العقيدة والكلام بشكل خاص؛ لأنه من أهم المواضيع إثارة لجدل علماء الكلام والنقد على السواء.

وسبب ذلك أن الموضوع يمس جانب التشريع العملي والاعتقاد النظري. فآيات الصفات والأسماء في القرآن، وآيات الأحكام تحتمل أكثر من تأويل، وهذا سبب في نشأة البحث المجازي، ولهذا كان الإمام عبد القاهر الجرجاني يرى أن طالب العلوم الشرعية في حاجة ماسة إلى إتقان هذا الموضوع، يقول: (وللشيطان من جانب الجهل به - أي:المجاز - مداخل خفية يأتيهم منها فيسرق دينهم من حيث لا يشعرون ويلقيهم في الضلالة من حيث ظنوا الهداية)[3]، وقال: (إن الخطأ فيه مورط صاحبه وفاضح له ومسقط قدره وجاعله ضحكة يتفكه به)[4].

وترتب عن القول بالمجاز وعدم القول به أحكام بلغت درجة الإيمان والكفر. واختلف العلماء في قضية القول بالمجاز إلى ثلاثة مذاهب :

- **المذهب الأول: يرى أن أغلب اللغة مجاز**

---

[1] ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، سنة3، 2003/173- 176

[2] الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة خانجي، بدون تاريخ، رسالة نفي التشبيه،ص:283

[3] الجرجاني، أسرار البلاغة، إعتنى به مصطفى شيخ مصطفى وميسر عقاد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2004م. ص:331- 342

[4] نفسه، ص:341

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

كأبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني، يحكي ابن جني أن أبا علي الفارسي أخبره بأن (قام زيد بمنزلة: خرجت فإذا الأسد، ومعنى قولهم: خرجت فإذا الأسد تعريفه تعريف الجنس، كقولك: الأسد أشد من الذئب، وأنت لا تريد أنك خرجت وجميع الأسد التي تناولها الوهم بألقاب... وإنما أردت واحدا من هذا الجنس بالباب فوضعت لفظ الجماعة على الواحد لما فيه من الاتساع والتوكيد والتشبيه)[1]، واستنادا إلى هذا اعتبر ابن جني أكثر اللغة مع تأملها مجاز لا حقيقة[2].

وراح المعتزلة يفسرون نصوص القرآن والحديث تفسيرا مجازيا يخرج عن ظاهر النص، فيصيب الصواب أحيانا مثل تحليل الجاحظ لقوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾[3]، وقوله سبحانه:﴿أكالون للسحت﴾[4]، يقول الجاحظ: (وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ولبسوا الحلل، وركبوا الدواب ولم ينفقوا درهما واحدا في سبيل الله)[5].

لكن المعتزلة أولوا الصفات والأسماء، وحملوا كثيرا من الدلالات على المجاز بشكل فيه نوع من الغلو خدمة لمعتقدهم المخالف لمعتقد أهل السنة الذين يجرون المعنى على ظاهره.

فأصبح المجاز مبحثا مكملا لعقيدتهم في باب التوحيد، واستندوا إليه لتأويل النصوص، واتخذوه منهجا لضبط مشكل القرآن ومتشابهه. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى الحكم على من لم يقل بالمجاز بالضلال، يقول ابن جني معرضا بمن أخذ بظاهر النصوص في أسماء الله وصفاته ولم يؤولها استنادا للمجاز: (وذلك أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه واستخف حلمه ضعفه في اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافة بها، وعرضت عليها الجنة والنار من حواشيها وأنحائها، وأصل اعتقاد التشبيه لله تعالى بخلقه منها، وجار عليهم بها وعنها)[6].

---

[1] ابن جني ،الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،سنة 2003م. 449/2

[2] نفسه،449/2

[3] النساء، الآية:10

[4] المائدة، الآية:42

[5] الجاحظ،الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي،الطبعة الثانية، 1965م، 5/25-26

[6] الجاحظ، الحيوان،تحقيق عبد السلام هارون،مطبعة مصطفى البابلي الحلبي،الطبعة الثانية،1965م، 3 /173

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

وأعلن ابن جني عن منهجه في تحليل نصوص القرآن، يقول: (وطريق ذلك، أن هذه اللغة أكثرها جار على المجاز، وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة... وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرف الناس بسعة مذاهبها، وانتشار أنحائها، جرى خطابهم بها مجرى ما يألفونه ويعتادونه منها، وفهموا أغراض المخاطب لهم على حسب عرفهم وعادتهم في استعمالها)[1].

وصرح إمام المعتزلة القاضي عبد الجبار[2] أن ما وافق مذهب أهل الاعتزال من أصولهم حُمل على الظاهر، وما خالف ذلك حملوه على المجاز، يقول: لا بد أن يعرض ما في كتاب الله من الآيات الواردة في العدل والتوحيد على ما تقدم له من العلم - أي بأصول الاعتزال-، فما وافقه حمل على الظاهر وما خالف الظاهر حمل على المجاز، وإن كان الفرع ناقضا للأصل، ولا يمكن في كون كلامه تعالى دلالة سوى هذه الطريقة[3].

- **المذهب الثاني: ينكر المجاز ويقف عند ظاهر النص**

فالواقفون عند ظاهر النصوص يخافون من الانزلاق عن حقيقة آيات التشبيه، خصوصا ما يتعلق بأسماء الله وصفاته المرتبطة بالعقيدة إلى معان لا يقصدها الشارع، ويرون أن الأصل عند علماء النقد الوقوف عند ظاهر النص، يقول ابن الأثير: (الأصل في المعنى أن يحمل على ظاهر لفظه ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل)[4].

ولأن مذهب الواقفين عند ظاهر النص أقدم من مذهب أهل المجاز، أي: أقرب لفهم العرب الذين نزل عليهم القرآن، وقد أشار ابن تيمية إلى أن اصطلاح المجاز حادث بعد انقراض القرون الثلاثة الأولى وأنه كان في الغالب من جهة المتكلمين[5].

ويرجع السبب الرئيس في الوقوف عند ظواهر النصوص عند هذه الطائفة إلى روح الاحتراس الشديدة من الوقوع في الخطأ، وحرصهم من الوقوع في مزالق عقدية، يقول الجاحظ (كأنهم من خوفهم على العود في شيء من أمر الجاهلية احتاطوا في أمورهم فمنعوهم من الكلام الذي فيه أدنى متعلق)[6].

---

[1] نفسه، 3/176-173

[2] القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني، إمام المعتزلة، ولد سنة: (359هـ)وتوفي: سنة(415هـ)، الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002م، 3/273

[3] القاضي عبد الجبار،المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق أمين الخولي، دار الكتب المصرية، دون تاريخ، 17/395

[4] ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، قدم له وعلق عليه:أحمد الحوفي وبدوي طـــــبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة،بدون تاريخ، 1/32

[5] ابن تيمية، كتاب الإيمان، المكتب الإسلامي،دمشق، بدون تاريخ، ص: 74

[6] الجاحظ، الحيوان، 3/288- 289

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

وظهر هذا المذهب الرافض للمجاز في لغة القرآن ولغة العرب بشكل واضح مع متكلم أهل السنة الإسفراييني[1].

وأسباب الرفض لا ترجع إلى المجاز نفسه، بل هو مرفوض لغيره؛ لأنه كذب؛ ولأنه يؤدي إلى وصف الله تعالى بأنه متجوز، وهذا في نظري حكم متعسف فيه شيء من الغلو؛ لأن رفض القول بالمجاز يجب أن يرتبط بمناقشة الفكرة المجازية نفسها.

ولعل أول من ناقش الفكرة المجازية مناقشة علمية تقوم على نقد المفاهيم هو الإمام ابن تيمية. حيث بدأ بتحليل تعريف المجاز قائلا: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع به لعلاقة مع قرينة مانعة من إدارة المعنى الحقيقي، فوقف بدقة عند الفصل بين الألفاظ واستعمالاتها بوضع اللفظ أولا، ثم استعماله بعد ذلك، إما في المعنى الذي هو له، وإما في المعنى الذي ليس هو له، ورأى ابن تيمية أن هذا الفصل يقوض الفكرة المجازية؛ لأنه لا يوجد دليل على سبق الوضع للاستعمال، يقول: (وهذا كله إنما يصح لو علم أن الألفاظ العربية وضعت أولا لمعان ثم بعد ذلك استعملت فيها، فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال)[2]، وهذا تعليل علمي منطقي؛ لأن قضية وضع اللغة قضية ليس في أيدينا ما يصلح دليلا عليها سوى استعمال اللفظ ونقله من جيل لآخر، يقول ابن تيمية: (المقصود هنا أنه لا يمكن لأحد أن ينقل عن العرب بل ولا عن أمة من الأمم أن اجتمع جماعة، فوضعوا جميع هذه الأسماء الموجودة في اللغة ثم استعملوها بعد الوضع، وإنما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني)[3].

هكذا رد تقسيم اللغة إلى مجاز وحقيقة، يقول ابن تيمية: (وتقسيم اللغة إلى حقيقة و مجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السلف، والخلف فيه على قولين، وليس النزاع فيه لفظيا، بل يقال نفس هذا التقسيم باطل لا يتميز هذا عن هذا، ولهذا كان كل ما يذكرونه من الفروق يبين أنها فروق باطلة... وقولهم: اللفظ إن دل بلا قرينة فهو حقيقة وإن لم يدل إلا معهما فهو مجاز، فقد تبين بطلانه)[4]، وذهب ابن القيم إلى حد اعتباره طاغوتا، وأفرد له فصلا في كتابه الصواعق

---

[1] أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفريني،متكلم أهل السنة، ت 418هـ، وقد أنكر وقوع المجاز في لغة القرآن ولغة العرب ،ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة، حققـــه وخرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له علي الرخـيـــل الله، دار العاصمة، الطبعة الثالثة، 1998م، ص:243.

[2] ابن تيمية، كتاب الإيمان، ص:74

[3] نفسه، ص:75

[4] ابن تيمية، كتاب الإيمان، ص:94-95

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

المرسلة، والذي ألفه لغرض الرد على الجهمية المعطلة لحقائق الأسماء والصفات.

فالمجاز بمنظوره وسيلة التجأ إليها المعطلون، وجعلوها جنة يستترون بها من سهام الراشقين، ويصدون بها عن حقائق الوحي المبين[1].

- **المذهب الثالث: يقف موقف الوسط بين إثبات المجاز وإنكاره**

كالإمام عبد القاهر الجرجاني الذي اعتبر المجاز بلاء اقتسم فيه القوم بين إفراط وتفريط. فمن مغرور بنفيه دفعة، والبراءة منه جملة، يشمئز من ذكره، وينبو عن اسمه، يرى أن لزوم الظواهر فرض لازم، وضرب الخيام حولها حتم واجب، وآخر يغلو فيه ويفرط، ويتجاوز حده ويخبط، فيعدل عن الظاهر والمعنى عليه، ويسوم نفسه التعمق في التأويل ولا سبب يدعو إليه[2].

ويشير إلى ضرورة الوقوف بدقة عند قضية المجاز لما له من أهمية في تحليل نصوص التشريع والاعتقاد، يقول: (واعلم أن إغفال هذا الأصل الذي عرفتك... مما يدعو إلى مثل هذا التعمق، فإنه نفسه قد يصير سببا إلى أن يقع قوم في التشبيه، وذلك أنهم إذا وضعوا في أنفسهم أن كل اسم يستعار فلا بد من أن يكون هناك شيء يمكن الإشارة إليه يتناوله في حال المجاز، كما يتناول مسماه في حال الحقيقة، ثم نظروا في نحو قوله تعالى:﴿ولتصنع على عيني﴾[3]،﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾[4]، فلما لم يجدوا للفظة (العين) ما يتناوله على حد تناول (النور) مثلا للهدى والبيان ارتبكوا في الشك وحاموا حول الظاهر، وحملوا أنفسهم على لزومه، حتى يفضي بهم إلى الضلال البعيد، وارتكاب ما يقدح في التوحيد)[5].

تقويم :

أثرت العقيدة و المذاهب الفكرية المختلفة في قضايا النقد الأدبي، و في تقويم الأعمال الفنية للمبدعين، فأغلب نقاد العرب فلاسفة أثرت فيهم مذاهبهم العقيدة و توجهاتهم الفكرية وهم يمارسون عملية النقد و التذوق للبيان العربي، فالمفاضلة بين شاعر وآخر، أو بين النصوص بشكل عام لم تتجرد من هذه الخلفيات العقدية.

وقد تطرقنا في هذا المقال باختصار إلى أهم القضايا النقدية التي دار حولها نقاش عريض، و بينا أن السبب الرئيس في القول مثلا بفضل اللفظ على

---

[1] ابن قيم الجوزية ،مختصر الصواعق المرسلة ،ص:271- 273
[2] الجرجاني،أسرار البلاغة،ص391
[3] طه،الآية:39
[4] هود،الآية:37
[5] الجرجاني،أسرار البلاغة،ص:50

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

المعنى، أو بالتشبث بالمجاز و التشبيه و رفضه هو عقيدة الناقد و مذهبه الفكري بالدرجة الأولى.

المنارة للاستشارات